الباب السابع

ولتكن آية وحديث

المقال الأول
حين يمر الخاطر (١)

بسم الله الرحمن الرحيم، قمت فجرا كعادتى لأتوجه إلى المسجد، لينعم الله علىَّ بصلاة الفجر فى الجماعة، وعدت كعادتى لأقرأ الجزء اليومى المعتاد، بهداية الله، وكان الجزء الذى أقرأ به الجزء الرابع والعشرين والذى يبدأ من الآية ٣٢ سورة الزمر، يتبعها سورة غافر، ثم سورة فصلت حتى آية ٤٦ وينتهى الجزء عند هذا الحد، وواقع الأمر فى كل مرة أتلو أو أقرأ كأننى لم اقرأ من قبل، وكأننى لم أسمع أو أرى، وهى أمور تحتاج إلى البحث داخل النفس، فكل يوم يضيء الله أنوار القلوب والعقول، **{أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}**. **(الرعد: ٢٨)**

استوقفنى أولا الآية ٤٢ فى آية الزمر **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**.

وفى هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها فى الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى فى البرزخ، فتجتمع، فتتحادث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات.

إن الآية توضح أن الأنفس تغادر الجسد، وتحدث الوفاة الكبرى لمن قضى الله عليه الموت، فعندما ننام تخرج الأنفس وتتجمع عند البرزخ، والتى قضى عليها الموت تظل، أما التى لم يقض عليها الموت تعود لصاحبها إلى أجل مسمى، وهنا نسأل أنفسنا، كم مره ننام وتخرج منا أنفسنا، هل تيقنا أن نعود مرة أخرى للحياة؟ هنا السؤال، إذن نحن أموات على أقدام الحياة، نتحرك كموتى فى

انتظار الوصول إلى القبر، وتدخل هذه الآية فى ثبات العقيدة ولو العقيدة ثابتة، لما يحدث ما نراه من جبروت وعنف، وطابت الأنفس وتراحمت فيما بينها.

والآية الثانية هى غافر ٣٧ **{وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ}**.

{وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ}. فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه ويحسنه، حتى رآه حسنًا ودعا إليه وناظر مناظرة المحقين، وهو من أعظم المفسدين، **{وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ}**. الحق، بسبب الباطل الذى زين له. **{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ}**.الذى أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل **{إِلَّا فِي تَبَابٍ}**.أى: خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاء فى الدنيا والآخرة.

ثم استوقفنى فى سورة فصلت الآية ٢٥ وهى موضوع الحلقة **{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}**. وهنا نصل إلى النقطة الأساسية أن هناك من يزين للإنسان طريقه. ومعنى قيضنا أى سببنا وهيأنا وبعثنا لهم قرناء يلازمونهم، والقرناء جميع قرين وهو الصديق الملازم الذى لا يكاد يفارقه وله تأثير عليه، ومعنى ما بين أيديهم أى الشهوات فى الدنيا وسيئاتها والمراد بما خلفهم ما يتعلق بالآخرة من بعث وحساب وثواب وعقاب.

إذن نحن أمام الومضة الأولى فى أننا أموات على الأقدام، فلنحذر، وهذا يعنى أهمية ثبات العقيدة واليقين، ثم يلازمنا قرناء، يحركوننا، ويستولون على كل تصرفاتنا، ويحاولون أن يبعدونا عن الآخرة ونعيمها.

إن القضية محصورة فى الإنسان من ميلاده من رحم أمه، ثم رحلة الحياة يتجرع فيها معنى اليقين والثبات فى العقيدة وفى طريقه فى الحياة، يسير على طريق الزينة، وطريق الزينة هو طريق الغواية، وكما هو محظور الوقوف فى الممنوع فإن الشيطان يزين الممنوع، ويحاول جاهدا أن يخرجنا إلى طريق الكفر والشرك، إلى أن نصل إلى مرحلة اليأس، إذن القضية حلها فى الإيمان يقينا بالعقيدة، وأن العدو الأول هو الشيطان، القرين، لأنه يلعب على حبائل العقل حتى يسقط الإنسان من أرجوحة الشيطان.

وأمامنا الآن أربع آيات، تتحدث الآية ٤٢ فى الزمر عن أننا نموت فى كل لحظة، وإن الموت الذى نفر منه ملاقينا، صبحا، مساء، وما أجمل أن تكون حقائبنا مليئة بالبر والتقوى، وأن نرفع أعيننا لمن وهبنا الحياة ونطلب منه، وإن نزغ الشياطين، والقرين الذى يلازمنا، ليجعلنا فى حالة تمرد دائم، ويحرك كل ما بداخلنا من احتياجات مادية، معنوية، أو غرائزية، إنه يدخل من باب المنقوص، حتى نجلد أنفسنا، ونتمرد، فيصاحبنا إلى طريقه، بعد أن يصل بنا إلى مرحلة اليأس فنرضخ له ونساق بلا إرادة، وعلى الرغم من هذا يقول الله تعالى فى الزمر ٥٣ **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}**.

وإن من الملفت للنظر أن كثيرا من البشر هجروا القرآن، استمتعوا بالرغى الفسيبوكى، إن كان فى الخير فلا بأس ولكن هل استقطع الإنسان من وقته ولو خمس دقائق بعد كل صلاة، ليقرأ القرآن ويكمل جزءا كاملا فى اليوم الذى لا يزيد ولا يستغرق عن ٢٥ دقيقة؟ ولننظر إلى الآية **{ومن يعش عن ذكر الرحمان نقيض له شيطاناً فهو له قرين}.سورة الزخرف (-٣٦)**

إن القرين يدخلنا إلى نفى الحقائق التى لا تدخل تحت المدركات الحسية مثل ما جاء فى الصافات ١٦، ١٧ **{أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون}**.

إذن الحل فى ثلاث خطوات: إيمان بالآخرة والموت، ويقين أن العودة إلى الله بثبات العقيدة ثم مجاهدة الشيطان بالنفس، ولن يتأتى ذلك إلا بالصلاة والاستغفار وقراءة القرآن والاعتقاد، اليقين فى **{وإليه ترجعون}**.

فنصل إلى ما استوقفنى أيضا الآية ٤٦ من فصلت وهى نهاية الجزء **{مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}**. يوم تأتى كل نفس وترى ما عملت من سوء أو خير، إن ميزان الدنيا غير ميزان الآخرة، فلنلزم الصدق بين أنفسنا أولا، لا تحاول أن يزين لك الشيطان ويهمس فى أذنك ليبعدك عن الطريق السليم.

القضية محصورة فى مقاومة زينة القرين والشيطان، وسوف أخصص حلقة كاملة عن الزينة، ومعناها وذكرها فى القرآن الكريم، ولنتأمل الآية الكريمة

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}. ١٤ آل عمران، هى تمثل سيناريو الرغبات فى الدنيا يستغلها القرين ليؤلب عليك نفسك ولكن رحمة الله واسعة، قف وابكِ أمامه وتذلل، ولا تعاند ولا تكابر، إن الكبر هو الذى أخرج الشيطان من الجنة، وإن المكابرة هى أول مفاتيح الخروج إلى الممنوع، فعلينا أن نتبع الإرشادات المرورية التقوية فى حياتنا، فمن أراد جليسا فالقرآن يكفيه، ومن أراد زادا فالتقوى تكفيه، ومن أراد عزا فالإسلام يكفيه، ومن أراد عدلا فحكم الله يكفيه، ومن أراد أنيسا فذكر الله يكفيه، ومن أراد جليسا فالقرآن يكفيه، ومن أراد غنى فالقناعة تكفى، ومن أراد زينة فالعلم يكفيه، ومن أراد جمالا فالأخلاق تكفيه، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه، ومن أراد راحة فا الجنة تكفيه، ومن من لم يكفه هذا فالنار تكفيه.

فيا نفس لا تنازعينى، واعلمى انك يوما تفارقيننى، وسنختلف، فلنتفق على الخير ولنطرد قرين السوء داخلنا، **{قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد (٢٧) قال لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد (٢٨)}.سورة ق.**

ربنا إننا ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا وتب علينا وارحمنا، وزدنا علما بتلاوة القرآن. آمين.

العلاج يبدأ من التلاوة وإن جهلت ما بالقرآن، فإن القرآن سيعلمك، وابدأ باقرأ والله الموفق.

المقال الثانى
حين يمر الخاطر (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم، كم ارتعدت أطرافى صدقا، حين أسطر الخاطر، وأى خاطر، إنه ليس أى خاطر، إنه الخاطر الأشق، ومن المعروف أن الخاطِرُ هو ما يَخْطُرُ بالقلب من أمر، أو رأْى، أو معنًى وإذا كان الخاطِرُ مجازا يعنى القلب أو النفس فادعوا الله جل شأنه، أن يرزقنا العلم النافع الذى يقربنا إليه، ونسأله سبحانه أن يعلمنا ما جهلنا، ويذكرنا بما نسينا، ونسألك يا الله أن تغنينى بالعلم وتزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية، ونور بالكتاب بصرى واشرح به صدرى وأطلق به لسانى سبحانك يا من قلت فى كتابك : **{فَفَهمناها سليمان وكلاً آتينا حُكماً وعلما}**. أدعوك أن تشد عضدى وتجعل فى كل حرف أكتب خيرا لى ولأهلى ولمن تبع هداك يا ارحم الراحمين.

خاطر القلب الذى ابدأ به أقول: لقد دفعنى ما كتبت على ما ذكرت سابقا أن أحاول أن أتحدث مع نفسى وقلبى فى كلام الله، كى أعلمها من تعاليم الله، حتى يزداد النور، وليمحو الله ما فى القلب والنفس من عوج، وسأبدأ بالترتيب فى القرآن الكريم، سأبدأ بأول سورة بالقرآن الكريم، وهى سُورَةُ الحَمْد وهى مَكّيّة وعَدَدُ آياتِها سَبعُ آيات، وسأتناول آية آية بإذن الله، وقبل أن أبدأ الآية (بسم الله الرحمن الرحيم) أقول إن أهمية سورة الْحَمْدَ أُمَّ الْكِتَابِ أنها عرض لكل محتويات القرآن، وهذا ما سأعرضه فى نهاية السورة بعد عرض الآيات، وقد روى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً أَنَّهُ قَالَ «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فى التَّوْرَاةِ، وَلاَ فى الإنجيلِ ولا فى الزَّابُورِ وَلا فى الْقُرْآنِ مِثْلَهَا، وَهِى أُمُّ الْكِتَابِ). من المعلوم أنّ لفظ (الأُمّ) يعنى هنا الأساس والجذر وهى تتضمن مراحل الإيمان وهى اعتقاد بالقلب، إقرار باللسان، العمل بالأركان.

خاطر آية (**بسم الله الرحمن الرحيم**):

كان من الملفت لى وما زال بل يلفت نظر البعض إنه حين كنا صغارا، وعلى مائدة الطعام وحتى ونحن كبارا، دائما، نجد الأب أو الأم أو من يذكرنا بقوله عند تناول الطعام، هل قلت بسم الله الرحمن الرحيم، البعض يستحى من الرد، وأتساءل لماذا هل شعرت بهذا يوما؟ أنت لم تغضب عند السؤال ولكنك استحييت من السؤال، فمن قال قد قال ومن لم يقل، هل يتفق معى الكثير أنه لم يغضب أحد من المجتمعين حول المائدة عند طلب ذكر بسم الله الرحمن الرحيم قبل تناول الطعام، وإذا نسى كانت تقولى جدتى أو أمى هل سميتم؟ كلمة دارجة معتادة مألوفة على الأذن لا يغضب منها أحد، بل يستحى الجميع ويعاتب نفسه ألم نفكر أولا لماذا لم نغضب من ذلك؟ نستقبلها ونقبلها، فما معنى هذا؟ فلنفكر قليلا؟ لنصل للإجابة بعد قليل. وقبل أن نسرد الحديث أود أن أذكر أنه جاء لى أحد الأصدقاء يشتكى من أولاده بل من نفسه فى نسيان بسم الله الرحمن الرحيم قبل تناول الطعام، فقلت له ببساطة شديدة، نحن نعد أصناف الطعام وأشكالها ونضع ألوانا شتى، فهل يمكنك أن تضع لوحة صغيرة خشبية مثل اى قطعة موضوعة على طاولة الطعام مكتوب عليها بسم الله الرحمن الرحيم فيراها الجميع، ومن ثم يعتاد أولادك عليها ويتم تداولها، ويكتب على الطرف الآخر الحمد لله، ويمكن عملها فى شكل قالب مثلث تكعيبى مثل ما يوضع على مكاتب المدراء ويكتب عليها اسمه. إن من الملفت للنظر أن هذا يحدث ونحن على طاولة طعام وهناك أب أو أم ولكن ماذا عمن يتناول الطعام فى المطاعم السريعة من شبابنا وأولادنا؟ هل يذكرون اسم الله فى بداية طعامهم؟ إن البركة منزوعة فكيف نصوب طريقا لا يبدأ باسم الله.

ونعود إلى بسم الله الرحمن الرحيم، إن القرآن نزل على سيدنا محمد بالوحى فى أول آية نزلت فى قوله تعالى: **{اقرأ باسم رَبِّكَ الذى خَلَقَ}**. واقتران اقرأ باسم ربك يعنى أن البداية أن نقول بسم الله لأن أول آية اقترنت ببسم الله سبحانه وتعالى ومعروف لدينا قصة الوحى، والرسول لم يكن يقرأ أو يكتب ولكن أن يأتيه الوحى من جبريل عليه السلام بهذه الآية يعنى أمرا بأن تكون كل بداية لأى عمل بسم الله، وحين نقرأ القرآن نقول بسم الله، وكل الأعمال

يجب أن نبدأها باسم الله، والله سبحانه وتعالى بدأ الوحى على رسوله عليه السلام، وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب، وطالما طلب منه أن يقرأ وبسم الله، هنا قدرة الله فى الأمر إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، وطالما أن كل شيء يبدأ بسم الله فهى قدرة الله سبحانه لا تعاليم من بشر أو غيره، إن الإنسان لا قدرة له على أن يرغم شيئا ليأتى على هواه، ولكن استعانته ببسم الله وقدرته، تغير الكثير لأنها باليقين، وإذا كان ما حولنا يسير بما لا قدرة لنا به ولا عليه، فهل نتدخل فى زرع أو حبة أو طرح من الثمار، أليس كل هذا من بسم الله. إنها قدرة الله وعلينا أن نبدأ بسم الله فى أفعالنا وأعمالنا حتى تزيد البركة، وهل رأيت يومك نفسك يوما تقترب من عمل فاحشة أو سرقة أو عمل غير مشروع أو حرام وتقول بسم الله؟ على الإطلاق وعلى الكلية، لا، الفطرة هى أن نبدأ الأعمال الصالحة بسم الله، وأنا على يقين أن من يقدم على عمل من المحرمات ويهم بقول بسم الله أو يذكر الله سوف تظهر بداخله الفطرة التى تقول له لا تفعل، فحين تقول ذلك فأعلم أن الله سيكون بجانبك ويمنعك لأن الله هو الاسم الجامع لصفات الكمال سبحانه وتعالى، وحتى نعود ألسنتنا أن نقول باسم الله الرحمن الرحيم، يمكن ان نضع اللوحة المثلثة على موائدنا، وان نضع فى أجندة أعمالنا ما يذكرنا على أن نبدأ أعمالنا بسم الله، فحيث تبدأ ضع ما يذكرك حتى تعتاد على ذلك، لا تستسهل الأمر فهو صعب لمن يغادر لسانه اسم الله.

علينا أن نتذكر الحديث الشريف عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَّمْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى، فَنِصْفُهَا لِى وَنِصْفُهَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ».

إِذَا قَالَ الْعَبْدُ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}. قَالَ الله جَلَّ جَلاَلُهُ: بَدَأ عَبدِى باسْمِى وَحَقَّ عَلَى أَنْ أُتَمِّمَ لَهُ أُمُورَهُ وَأُبارِكَ لَهُ فِى أحوَالِهِ.

فَإذا قَالَ: {الحَمدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ}. قَالَ اللّهُ جَلَّ جلالُهُ: حَمَدَنِى عَبدِى وَعَلِمَ أَنَّ النِعَمَ الَّتِى لَهُ مِنْ عِنْدِى، وَأَنَّ الْبَلايَا الَّتِى دَفَعْتُ عَنْهُ فبِتَطَوُّلِى، أُشْهِدُكُمْ أَنِّى أُضِيفُ لَهُ إلى نِعَمِ الدُّنْيَا نِعَمَ الآخِرَةِ، وَأَدْفَعُ عَنْهُ بَلاَيَا الآخِرَةِ كَمَا دَفَعْتُ عَنْهُ بَلاَيَا الدُّنْيَا.

وَإِذَا قَالَ: {اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}. قَالَ الله جَلَّ جَلاَلُهُ: شَهِدَ لِي عَبْدِى أَنِّى اَلرَّحْمنُ الرَّحِيمُ، أُشْهِدُكُمْ لأُوَفِّرَنَّ مِنْ رَحْمَتِى حَظَّهُ وَلأُجْزِلَنَّ مِنْ عَطَائِى نَصِيبَهُ.

فَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدّين}. قَالَ الله تَعالى: أُشهِدُكُمْ كَمَا اعْتَرَفَ بِأَنِّى أَنَا مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ لأُسَهِّلَنَّ يَوْمَ الْحِسابِ حِسَابَهُ، وَلأَتَقَبَّلَنَّ حَسَنَاتِهِ، وَلأَتَجَاوَزَنَّ عَنْ سَيِّئاتِهِ.

فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِى، إِيَّاى يَعْبُدُ أُشْهِدُكُمْ لأُثِيبَنَّهُ عَلَى عِبَادَتِهِ ثَوَاباً يَغْبِطُهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَهُ فى عِبَادَتِهِ لى.

فَإِذَا قَالَ: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. قَالَ اللهُ تَعالى: بِى اسْتَعَانَ عَبْدِى، وَإِلَى أْتَجَأَ، أُشْهِدُكُمْ لأُعِينَنَّهُ عَلَى أُمْرِهِ، ولأُغِيثَنَّهُ فِى شَدَائِدِهِ وَلآخُذَنَّ بِيَدِهِ يَوْمَ نَوَائِبِهِ.

فَإِذَا قَالَ: {إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيم}. إلى آخر السّورة قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: هَذَا لِعَبْدِى وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ وَقَد اسْتَجَبْتُ لِعَبْدِى وَأَعْطَيتُهُ مَا أَمَّلَ وَآمَنْتُهُ مِمَّا مِنْهُ وَجِلَ».

فلنقرأ فاتحة الكتابة باليقين.ولنقل بسم الله الرحمن الرحيم

إن مفاتيح اليقين تبدأ باسم الله الرحمن الرحيم فإذا استحضرنا ذلك باليقين، اطمأنت القلوب وما تزعزعت، وعلى ألسنتنا أن تعتاد القول باسم الله الرحمن الرحيم وإلا تاهت منا ولا نجد استعانة أو نصيرا يمدنا من بعد الله، راقب نفسك فى نهاية كل يوم وسل نفسك كم مرة ذكرت بسم الله الرحمن الرحيم، لنبدأ لنعتاد والعون من الله.

المقال الثالث
حين يأتينا الوجع من طرف لسان

قد نرى الوجع مؤلما، قد يصاب عضو من أعضاء الجسد، فقد لا نعبأ بما أصيب بقدر ما أصاب القلب من وجع، هذا القلب السر الكبير فى حياة الإنسان الذى لا يكذب ويمكن أن نستفتيه فيدلنا، وأما الأمور العقلية التى تتكون من مشاهدات وسمع ما هى إلا فرضيات تقبل الشك واليقين.

أما القلب إذا دخله الشك لحظه فسيترك بداخله بئرا من الوجع وكثير من الأمور شاهدها غامض قد يدعو للريبة، وندعو الاستدلال العقلى ليصل بنا إلى فرضية القبول ولكن هيهات أن يقبل القلب شكا فيتحول بالنهاية إلى نهر من الأوجاع.

ونعود لمقولة هامة أن سوء الظن ورطة وحسن الظن عصمة، ويالك من وجع بين الورطة والعبصمة. فحين يرتب العقل أحرفه، كرد فعل على ما يتنامى من مدخلات، فتترتب الأحرف وتوزع نفسها على نقاط اللسان، ومسألة ترتيب الحروف على مسطح اللسان لهو أمر يدعو إلى إسقاط نظام الكلمات على طاولة الحرف و الحوار، فهل فكرت لحظة واحدة لم تسبق الحروف الهجائية بعضها البعض من ترتيب؟ ستقف مشدوها، وسؤالنا من أعطى الحرف فينا مثل هذا التصالح على سطح اللسن، إنها كيمياء الكلمة، فكيمياء الكلمة الطيبة لا يدركها إلا كل عاقل، فمن أرشد الحرف رقاد الزحف؟ إن مسحة التداخل بين الصفة التى فى الحرف فينا إن لم تتم الاستجابة بداخلنا على تنظيمها فإن مصير الكلمات غير المرتبة حسب نظام السياق ذاته تؤدى فى النهاية إلى فرط القرار وإعادة ترميمه، إن اللسان وهو آلة حركة السير الذاتية فى ترتيب استجابتنا لمدخلات ميكانيكا الحرف لهو أمر يدعو إلى إسقاط كل خلل من العيوب المكتسبة أو الخلقية، وفصاحة اللسان تعتمد على التعلم، ومكتسب الحرف من

البيئة المحيطة بنا، وإن كل فيه ينطق بما فيه، نعم فمخزن الفم وما يحتويه من إمداد لفظى هو الدلالة البلاغية للجملة الصادرة ونتلفظ بها، وهى لفظة مراقبة يجب تدقيقها، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، إن اللفظة الموزعة على أرضية اللسان كالشتل حين نزرعه فى حصيد الأرض الطيبة، فبقدر ما تنتقى من حرف ليخرج من ارض اللسان إلى حصاد الحوار لهو غاية كبرى لمن أراد أن يعيش فى جو من الوضوح والشفافية بين الصفة والحرف، فكل لفظة ذات مدرك وإن المدرك فى السياق إدراك، وإن أمر الإدراك فى السياق استدراك، وإن لم يكن الإدراك استدراجا صار استدراجا نستدرجهم من حيث لا يعلمون، أن نقطة الضعف والقوة فى اللسانيات التعلم، فإن، فقدنا التعلم ستفقد الألسن إليه التعبير، ولن تزيد قدرة التعبير إلا بأن نقرأ لندرك وندرك لنستدرك لا لنستدرج وان الاستدراك هو الغواية والزينة التى يصورها لنا القرين لصناعة الكلمات الدلالية المضللة، زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل، فهل نتعلم الحرف، علينا ان نفكر فى هذا التصالح مع أحرف اللسان، ولن نصلح من مقود القيادة للكلمة بغير أن نقرأ فى كتاب الله، ولنتذكر قول الله تعالى: **{اقرأ باسم ربك الذى خلق}**. ولنبدأ جولتنا من الآن لنقرأ لنزيد من حصيلة الحرف ومن كتاب الله ولنتذكر لا يأتيه الباطل من بين يديه، فسبحان من هداه الله إلى الكلم الطيب، فلنرمم اللسن، قبل أن يصير الحرف على سطح اللسن من الرميات، وقد نكون كالجبال قد نكون، ربما ترى ان الجبال شامخة، فى عز يوم أضحت به الشمس، حين لا يرى الآخرون مالا تراه، فعلى الرغم من التكوين التشريحى للعيون ورغم كل مواصفات العيون المتشابهة، إلا أن العيون قد لا ترى عين الآخر، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، إن مسحة التداخل بين الصفة التى تكون فى تصالح المادة والروح لهى من اشق الأمور على النفس حيث أن هذا التصالح لهو جزء من تناغم إحساس الإنسان بنفسه مع نفسه، وإن حب النفس بقدر ما يعطى للآخر لا ينتظر غير مسحة رفق وحنان فى ظل ظلال يصنعها حجر الجبال الشامخة، إن الإنسان وهو جزء من هذا الكون إما أن يكون فى ظل جبل أو تحته أو أن يعتلى قمته، فقمة الجبال حين تصرخ فاعلم أن الأخلاق على وشك أن تهتز، فكيف نرى جبال الأخلاق

بعيوننا حين تتحرك فى اتجاهات متباينة تفقد معها كل الثوابت والمتغيرات؟ حينئذ نعلم أن صراخ الجبال الشامخة الراسخة تتعاطى ريح الانجراف، لقد ضيع الكثير أماناتهم بعيونهم التى لم تر الحقيقة التى يغفل عنها الكثير إلا من رحم، صدق الله حين قال اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون، إنها الحقيقة الغائبة، حين تلهو القلوب واعتقد ان اقتراب خط النهاية فى الحواس التى لم تستح فيما تفعله سوف تدرك فى النهاية أن الحياة قد فقدت مصداقيتها فى كثير من البشر، وصارت القوارب تسبح فى غيابات جب لا يرى الآخرون غير أنفسهم. إنه طوفان الأنانية فى صرخة حجر تجرنا لعبة الأبواق، فألملم الحرف فى كريات، أتعلم منها كيف يكون الغرام، فى ليل بشمس أشرقت فتعلمت كيف تغرق حبات الثلج فى دموع بالجفون، إنها الدموع المتساقطة الناطقة، الدافئة من حرارة الصمت، فى الأنفاس الناطقه، الراسخة على شفاه التاريخ، تتعجب فى خطوات متباعدة، تتزلج على كريات الثلج، فى انتظار شمس الربيع، فى دوامات ثلجية من كرات ثلج بيضاء مائلة للزرقة، تنادى الماضى الغريق فى خطوات ثابتة، ما تعرف طريقا غير ما تعلمته فى الحياة من الوضوح، تتعجب العيون من الالتفاف، وكأن الكلمات الجميلة ذهبت إلى مقابر الحزن، وما عاد التمايل الرشيق فى صحبة طريق إلا وكان يعلوه ذرات من جليد، تصحبه آهات صامتة، ناطقة للخلف، على أنغام أوتار قلب يعزف فى ألم، يصارع زمنا، لا يصارع، وقصة لا تضارع، فى جملة تبدأ فى اسم مضارع، هى طفولة العهد القديم التى يشتاق إليها الجميع، حين كنا فى سذاجة تشبه سذاجة عصر، فى رقص الجنون، لقد أصبح الرقص يغلب كل المرئيات، فهل يغنى ذلك الصمت النائم على سطح الجليد، فى حضن الوليد الذى ننتظر منه الجديد، ينطق فى حضن جنين؟! إنه الدفء الذى نبحث عنه، الدفء الناطق، الهامس، فى وشوشات الكلمات الدافئة، فى كل أنواع القراءة من الجفون حين تنام، فى أناقة رجل، يقرأ همس العيون، يعرف معنى أكف الظنون، حين يعزف على أنامل القلب وأوتاره ليبدأ فى تجمع حبات الجليد فتذوب صرعى بين الأكف الدافئة، يتعلم كيف يكون الغرام، يمحو به طعم الألم الذى لا يعلم كيف يوقفه، كيف يكون

الاهتمام، فى خصر تضيق به الأيام، فى قصة تبدو كخرافة أحلام، تصارع موجات البرد المتتالية فى انتظار الشمس فتفيض بداخلى كثيرا من شبح لا ينام، قد نحتضر ونحن أحياء حين نرى طيفا من قوام، فيرى كريات الثلج صرعى، فى قراءة من سجل لا يألف حروف الغرام، فى أنفاس تحمل سر الحياة فيحتفظ بزفير الأحلام، فيقتل بداخلنا كل جميل، أى زمن نحن فيه؟ إنه زمن الألف ميل حين يميل.

فمن منا لم يتعلق بحبال أراجيح، تصعد عاليا تارة، وتهبط تارة، فيتصاعد الشهيق، ويتزايد الزفير، فنتمسك بأوتار الأرجوحة، ونحاول ثبات المقعد؟ إنها أرجوحة التوازن، نستعيد ذاكرة الطفولة على حبالها، إنها اعتياد التوازن، فهل تعلمنا كيف يكون؟ فنبدأ بالركوب، قد نتمايل، ونسقط إذا فقدنا الاتزان، فالعين ستشتاق لسرعة نظرك فى الهواء، فى حركات طولية وعرضية ورأسية وكذلك أفقية، وحين نغادرها نتذكر طفولة الغياب فى لحظة إياب، حين يعلو صراخك الداخلى مع صفير الهواء واحتكاك ثقلك به، إنه صفير هواء فى هواء من هواء، فمن يجمع هذه الحفنات، المتساقطة من فقاعات الهواء، ضد قانون التوتر السطحى للفقاعة؟ ماذا أقول، وماذا أعددت؟ توقفت الحبال، وأبى العقل إلا أن يتذكر، العقل حارس السقوط، والجوارح غوغائية الصبر، والقلب هائم فى هوى، وكأننا فى قدر مضغوط، من آيات القنوت، والعقل ضاغط مضغوط، وتحاصرنا دوامات الهواء الملونة على أوراق الحبال، فماذا يؤجج سرعة الأرجوحتين؟ فهى صورة تعلو بنا، وصورة تصمت وتستكين حين نسكت، إنها لوحة التداخل بين الصمت والحركة، فى قانون القوى الكامنة داخل أنفسنا المتأرجحة، فى ثوبنا المعلق من طرفيه، بقانون الارتكاز حتى لا تسقط ثيابنا ونتعرى، إنها الحقيقة الغائبة.

المقال الرابع
جياع فى زمن

جياع فى زمن و زاد حين تبعثرت الأقدام فاختلفت داخل العقل المتأرجح، تارة متباطئة فى الحركة، متثاقلة، وتارة تسرع كأنه طريق حريرى، الأقدام تتحرك لمائدة، لا نعرف أنواعها، رغم إننا تناولناها سابقا، فجاءت لحظة توقف العقل فيها عن التمييز، رغم أن المعدة أصابها الوجع من الموائد، إن الأصوات التى نستقبلها فى داخلنا لا تقبل المائدة القديمة الجديدة، فهل سيختلف مذاق الأمس عن اليوم، فى أصناف الطعام؟ إنها من نفس التربة، ونفس البذرة، وما تحملها من جينات، فلا يمكن تغيير الصنف ذاته ويتحول إلى مذاق التفاح، إنه تحول ظاهرى، ويبقى التجربة، تثبت أن التغيير فى المائدة، سأتحمل فيه ترتيب الأطباق و تنظيفها، إنها الأطعمة المبعثرة التى تراها العين، ولا تشتهى منها أى شيء، إنها تجربة المذاق الذى لا يمحى من قدم أو من فم عطب فيه كل شيء، إن القناعة ليس فيما هو معروض، ولكن فيما نفضله مهما كان الزاد ومهما كان الجوع والاحتياج، والجوع يكفيه كسرة تسد الرمق، أما الوفرة فلا قيمة لها فى اضطراب المعدة التى لا تعرف ما فى أنواع الطعام من خير أو شر، إلا بعد تناولها، فالمعدة لا تميز، وحين تميز لا يجوز إفراغها، لأنها تناولت ما يبهرها، إن الحقائق قد تبدو لامعة فى لحظة ما، ولكن ما يشغلنا هو صدق الحقيقة، الحقيقة الزائفة مهما كانت أعلام الموائد، حيث نكتشف أننا ضيوف ولسنا أصحاب الموائد الحقيقية، فيغادر الصدق الصدور وتظل أمعاؤنا فى العقل مضطربة فنقرر الصوم، رغم انتشار الموائد فى زمن جياع وزاد. فهل نغادر فى صمت؟ ماذا يعنى المغادرة؟ حين تغلق الأبواب أسأل نفسى وابحث عن حامل المفتاح وأحاوره من خلف باب اسمه الغياب. إنها لحظة يتوهم العقل فيها كثيرا، توهم الترقب، أو التأهب، فمن بالعين

فينا يرقب، حين تدق الأبواب؟ من أجاب؟ ومن استجاب؟ إن لم يستجيب لنا الصوت فقد نعود أدراجنا إلا أن الصوت جاثم فى الآذان ما انفك لحظة واحدة، واليأس فينا يحطم كل ما سمعناه، فندق ثانية وثالثة، وكأن اليأس يرفض إذعانا لا بالخضوع أو الانقياد، فلسان الحال بداخلى يرفض هذا الإذعان، إيمانا بأن الله فارج هما قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.

الرفق حين نغادر، الرفق حين يعنى الرحيل لنا أمرا، إن رحيل النبلاء فى زمن غاب فيه الكثير، ماذا يعنى فى عيون المغادرين؟ هل تذكرنا لحظة من لحظات الحنين أو الاشتياق، الحنين إلى طفولة بريئة، إلى حنين الصدور حين ترغب فى البكاء، فى زمن خلا منه العطف بين البشر وامتلأت بكثير من القسوة، ونسينا فيه كلمة نحن والغيث فى قواميس العربية وبقيت كلمة أنا ومن بعدى الطوفان، ، لعلنا نتعلم كيف نبقى فى قلوبنا حبا مفعما لا ينضب، حين يوشك الإنسان على ضياع أمر منه فلا ييأس فإن الله سبحانه وتعالى ما منع شيئا إلا لخير وما منح شيئا إلا لخير أعظم، فهى الحياة إيلام فى الصدور، وحساب فى القبور، ودعاء مقدور، ونتحدث عن ظلم مبتور، ولم نسأل أنفسنا، إنه من المستحيل بل من الصعوبة بمكان أن يضيع أمرا وفى قلوبنا الإيمان يتربص للظلم إذا ما دق بابا أو استباح أمرا، إن الحب فى القلوب عامر لمن صدق، وأن خناجر الشياطين فى وسواس النفوس التى تصور لنا خيالا أو واقعا ينتهى فى يوم الرحيل، **{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}**.(الأعراف: ٢٣) إنه يوم يبحث عن حب القلوب، حب لا ينتهى بانتهاء المناسبة أو نهاية دوام فى العمر، إنه الحب العامر فى القلوب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، إن الحياة ماضية وما أجمل أن نترك خلفنا ذكرى طيبة وشعورا لا يمحى وعنوانه هنا كان لنا ذكرى، وسكن وعنوان، لن تمحوه آثار التجاعيد أو رفات الموت فى القبور، فكلنا مجموعون ليوم عظيم. **{إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون}**. (الزمر: ٣١)، فحين تتغير المفردات أقف أمام العلة، لعلنى حين أقرأ كلمة، أو استمع إلى كلمة، فأفكر فى أمرين، كيف قُرئت، وكيف سُمعت تلك الكلمة، فهل حين أقرأ بالعين

تختلف الكلمة حيث يختلف لون العين، أم أن ألوان العين تشكل الكلمة كيفما شاءت، ولهذا يختلف الكثير فى قراءة الكلمات حسب لون العين، هذا سؤال أطرحه على نفسى، وعلى الآخرين، وإذا قبلنا بفرضية تغير ألوان العين فنرى الأشياء حسب لون العين وبالتالى تقديرها يختلف من شخص إلى آخر، إن نقاط المرئيات فى العين قد تبدو واحدة ولكن أعتقد تختلف فى استقبالها وبالتالى ترجمتها، وترجمة المرئيات تتوقف على مصداقية القرنية بالعين، وليس كل ما يرى صادقا. ومصداقية الكلمات المرئية تعتمد على صدق الصورة المعروضة. ومن المعجزات انه عند فقدان حس البصر تقوم المنطقة البصرية المخية بوظائف ارتباطية مع المناطق الارتباطية الدماغية الأخرى فتزيد من قابلية الدماغ على حفظ المعلومات والذاكرة والذكاء ولا تقوم المناطق السمعية بذلك، وقد نبغ الكثيرون ممن فقدوا حس البصر بينما لم ينبغ احد ممن فقد حاسة السمع إلا نادرا، وأعود تارة أخرى للكلمة المسموعة، إن الكلمة المسموعة هى كلمة مجهولة الهوية قبل أن تدخل فى صوان الأذن الذى يقوم بتجميعها وتمرر إلى داخل الأذن الوسطى وتترجم من موجات ميكانيكية إلى ذبذبات ذات نقاط محددة تتحول فى النهاية إلى شفرات يتم تفكيكها داخل العقل، وبالتالى فكل رسالة صوتية تحمل معنى معينا ترمى إليه، وتتوقف هذه الرسالة حسب الجملة ونوعها فى الجملة المنقوصة أو المكتملة أو أشباه الجمل، وأغلب رسائل البعض أشباه جمل لأن الجمل الكاملة هى الحقيقة غير المرغوبة لدى كثير، والحقيقة فى أوقات كثيرة نغمض عنها العين ونسد أذاننا عنها، فتتوه وسط الزحام.

إن الحواس وبالتحديد السمع والبصر لهم دور كبير فى حياتنا، **{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا}. الإسراء:٣٦** لقد ذكرت كلمة السمع ومشتقاتها ١٨٥ مره بينما وردت كلمة البصر ومشتقاتها ١٤٨ مرة. إن كلمة السمع تعنى سماع الكلام والأصوات وإدراك ما ينقل من معلومات بينما كلمة البصر لم تعن رؤية الأجسام والصور بالعينين إلا فى ٨٨ حالة فقط، حيث إنه دلت فى باقى المرات على التبصير العقلى والفكرى بظواهر الكون والحياة أو بما يتلقاه المرء ويسمعه، وقد تزامن ترافق السمع والبصر فى ٣٨ آية .

إن الإدراك بحاسة الأذن يأتى من خاصية الاستماع، فعند الاستماع نأتى إلى إدراك الأمر فينفعل الوجدان بداخلنا، ولننظر إلى ميكانيكية الأمر، فحين نستمع إلى الشيء يحدث تأثير وجدانى يتبعه حركة، وإتباع السمع قد يكون تأثره على العين بالدمع مثلا فى الآية الكريمة ٨٣ سورة **{وَإِذَا سَمِعُواْ}**هنا الإدراك عن طريق الاستماع بحاسة الأذن، والمسموع فى الخبر أو الخبر المسموع المتلقى هو **{مَآ أُنزِلَ إلى الرسول}**، وبالتالى فالخبر المسموع يحرك الوجدان فى ردة فعل وهى **{ترى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدمع مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الحق}** وبعد ردة الفعل تأتى الرغبة أو الشروع فى الأمر بالرغبة فى أمر ما **{يَقُولُونَ رَبَّنَآ آمَنَّا فاكتبنا مَعَ الشاهدين}**،(الأعراف: ٥٣)، وتكون الآية مكتملة هى **{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}**. (المائدة: ٨٣).

ونستخلص من ذلك أن استحسان الخطاب السمعى له تأثير فى الإدراك والوجدان والنزوع، وهو أمر فى منتهى الخطورة عندما تتغير المفردات عن مسارها الطبيعى، ولا يوجد ما يميز حقيقة الكلمات أو أصولها لفقد التركيبة اللغوية.

إن ما يدور بداخلنا كثير جدا، وأصبحنا فى عالم يغير الثوابت، ويحول المعكوس إلى قاعدة وصارت العقول فى طريق مجهول، فتغيرت المفردات، وتغيرت الألوان إلى حد أوصلت البعض إلى الاعتقاد بصحة ما يرددونه من أقوال وكأن فرضياتهم مثبتة، إن المجهول فى أحداق العيون ترصد بداخلنا حركة الأنام وتساير فى دورة حياتنا الزمن المنقوص، نعم إن الزمن منتقص يوميا من سجل العمر، فكلنا ذاك العالم المجهول الذى قارب على الأفول.

هل يمكن القول إن كل إنسان فى هذا الكون سجين الحياة، نُعَرَّف بصمته بأشباه الأرقام فى هويتنا أو أرقام منازلنا؟ أهذا هو عنوان كل منا فى الدنيا، والعنوان قد لا يعنى المنزلة، والمنزلة تعنى شيئا آخر، إن الحياة وما فيها من أحداث تمر حولنا، قد أجهدت الجفون، وتذوقت الغبطة المالحة، والعيون المرهقة من كثرة تدقيق المرئيات والوقوف على صحتها، وأننى أقف لأزن كل المسارات أمامى إنها إجهاد العين وما يتبعها من ضمور فى الرؤيا التى أصبحت مضللة.

لقد أحصيت الأثقال على في يدى فلم تتحمل، فرفعتها على كتفى، فتقوس، وانحنت الرأس وتتدلى بأفكار قاربت حد الذوبان فى دنيا لا تعرف أمرا فى وجدان، إنها أصوات من الهذيان، أصوات تحمل الضعف والقوة، أصوات تحمل ذبذبات الارتباك، أصوات تحتاج إلى المعونة لفك شفرات المعانى المبهمة، إنها أصوات متشابكة، وتتعمد الخطأ، لكى نمتثل لأوامر الغير، إن سجل الحضور فى الدنيا قارب على الانتهاء، والقلب يحمل فيه الكثير، ولم يعد أمرى يهم الغير فى كثير، فهل نحتاج إلى التغيير، أم نصمت فى المسير، وننتظر طلقة تنهى السبيل؟ إن النعم كثيرة فماذا يحدث حولنا، وإن نعمة البصر ونعمة العين ونعمة القلوب ماذا نحن بها فاعلون ولننظر إلى الآية **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ۗ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}. الأنعام ٤٦**، ماذا تكون شكل الحياة حين يكون لنا أبصار ولا نستخدمها، وأذان ولا نسمع بها، وقلوب تحجرت وتجمدت. إنها النهاية.

المقال الخامس
أين نغلق الأبواب خلفنا؟

ربما فى مرحلة من مراحل الحياة نرغب فى غلق كل الأبواب، فتحادثنى النفس، وهل أبوابك لم تكن مغلقة؟ فعلام التعجل فى الإغلاق؟ فهكذا نحن البشر **{خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ}. (٣٧) سورة الأنبياء،{وَكَانَ الإنسان عَجُولاً}. (١١) سورة الإسراء.** تطاردنى إجابة مؤلمة، نحن فى دنيا سجنها اختيارى، انه سجن الحياة المفتوح، سجن الملامح التى تغرب فى العيون لتعلن الرحيل فى أى لحظة، بعيدا عن أشلاء الحزن المرسوم على أجسادنا، والمحفور فى القلوب الدامية، والتى تتباطأ دقاتها يوما بعد يوم، إنه اغتيال النبض، فى جدران الذاكرة، فى فراغ العمر المغبون، فى ممرات الوسيلة التى زادت فى متاهة الرغيف، فى ممرات الأعباء، و أثقلت النفس بكثير من الهموم، ومازال الحلم فى الذاكرة، أقوى من صدمات صخور الحياة المتساقطة، قد يعاب على المرء أحيانا فى حياته تضخيم السطحيات وتصغير المعظمات، فأقول وهل لدينا جدول من المعطيات كى نعرفها؟ وهل توازن المقارنة بين وجهات النظر متقاربة أم متباعدة؟ فمن يشبه من؟ فكل يبحث عن شبيه أو نقيض وبينهما بون عظيم، هل نبحث عمن يريح أم من يبيح أم من يستبيح، فنحن أمام ثلاث كلمات، الراحة فى يريح، الإباحة فى يبيح، الاستباحة فى يستبيح، وهل يجمع بينهم رابط أساسى؟ إذا نظرنا إلى الراحة فانه لا توجد راحة مطلقة **{قَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِى كَبَدٍ}. (٤)- سورة البلد**، والإباحة المطلقة فوضى مُخَلَّقة الغرض منها ضياع الحقيقة، والإباحة المشروطة لا تعنى تقييد حرية الفرد، وإنما يعنى أن هناك سنة كونية لبشر لا يعلم أى منهم ما بداخله، وإن كان يدرى الإنسان أمرا لاختار صلاحه، فلا يخطئ فى اختياره، فالله سبحانه وتعالى أعلم بعباده، **{يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ**

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. (٢٦) النساء، أما استباح الشيء أى انتهبه، وإذا نظرنا لمفهوم كلمة استباح يستبيح، اسْتَبِحْ، اسْتِباحَةً، فهو مُستَبِيح، والمفعول مُستَباح:- استباحَ الأمرَ عدّه مباحًا غير ممنوع، أقدم عليه :- استباح مالَ الآخرين : تملّكه واستولى عليه، - استباح الجُنْد المدينة : استولوا عليها حربًا، - استباح أرضه : نهبها، استولى عليها حربًا، - استباح الحرمات : اعتدى عليها وانتهكها، - استباح دمه : سفكه أو أجاز سفكه. ومن هذه التفسيرات نرى كثيرا ممن حولنا يأخذ منحى الاستباحة طريقا دون خوف أو تردد، ومن هنا نأتى إلى تنظيم المعاملات حتى نقف أمام الأبواب ولا نغلقها، فغلق الأبواب إما سترا، أو هربا، أو وقاية، فماذا نختار فى خطوة الغلق والانسحاب، إن الغلق لن يتأثر به الآخرون، ومهما كنت فى وجودك، فالأفول فى الذاكرة منسحبة تدريجيا، فإذا أخذنا الخيال شططا، فماذا يمكن أن نصل إليه؟ فمن المعروف أن كلمة شطط تعنى القول المفرط فى البعد عن الحق، أو ليس كل حلم يأخذنا شططا؟ أم بلغنا من الأمور للرؤية عن بعد؟ وأى بعد نرى منه غير ما صرح لنا فيه الرؤيا، وهل الرؤيا التى نراها بالعين تختلف عن رؤيا الأحلام المهاجرة من العقل الباطن؟ إنها الحقيقة المخبأة فى طياتنا، ولا نعلم بها، ولماذا تسبح خيالاتنا بأحلام قد نطلق عليها حلما فى أمل، ولماذا نحلم، وهل الحلم يعنى الهروب من الواقع أم أنه يعنى خطوة نحو الأمل، فكم مرة تجمعت الأفكار فى حلم قد يستغرق ثوانى يصعب قياسه بمعدل الزمن الذى نعيشه بتقدير الوقت، فهل يمكن أن نحقق حلما يدور فى خيالنا، أم يصعب الإجابة لأننا لسنا فى زمن سيدنا سليمان **{قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ}. (٤٠) – النمل**، فكيف نحقق حلما، إن الحلم الذى يبدو مستحيلا، قد تدفعنا بعض المتغيرات غير المفهومة لتتشابك، فتغير مسارا، وتحول طريقا كنا نعتبره من المستحيل، وبنظرة مادية بحتة، دائما يصعب تحقيق معادلة الأحلام، ولكن كل شيء مقدر وبقدر **{إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}. القمر:٤٩**. -، لا نعلم نحن لها حكمة، لأننا رغم خيالنا مازال صندوق العقل محاطا من سياج لا يمكن تخطيه، ولا يمكن

أن نستبيحه، ولا يمكن أن نبيحه، وليس بداخله راحة، فهل فكرت يوما أن تغلق كل مفاتيح العقل والإشارة وتهاجر حيث تريد، وتغلق خلفك الأبواب؟ إن أَغْلقت فهل أحكمت الغلق، وان هاجرت فالى أى أرض؟ وما هى أجمل أرض نهاجر إليها؟ قد يحتاج السؤال إلى إجابة، ولكن لا تضيع الإجابة فى كثير من متاهات الحياة المتناهية فى الصغر رغم كبرها المرئى للعين بقياس وحدة العين **{وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}. (٦٤).العنكبوت**. وبعد كل هذا هل قررت الرحيل؟ أم أن تغلق الأبواب خلفك؟ أم تحلم على وسادة النعم؟ أم تستبيح ما لا تستحق، أم تعيش على المباح فى قناعة، والمتاح فى مكانه، فهل أنت ترغب فى راحة، أم ترغب فى عيش من الباحة؟ وهل تعلم أن الباحة تعنى النخل الكثير، فماذا نريد تحديدا؟ هنا يقبع جوهر السؤال.

المقال السادس
لِمَ نتعجب؟

كثير منا ينتابه العجب، أو التعجب، وحيث إن التعجب يعرض حالة نفسية أو مزاجيه يمر بها الإنسان، أو ما يتعرض له من ضغوط نفسية تكمن فى حالات الخوف أو الغضب أو الفرح أو أى شيء آخر من الإثارة، وإجمالا فإن التعجب ما هو إلا نوع من الإثارة العاطفية، فإذا كان التعجب يدل على الدهشة أو الاستغراب الناتج عن الشعور الداخلى للإنسان عند انفعاله حين يستعظم أمرا نادرا لحدوثه، أو صفة أو مشهدًا يحدث أمام أعيننا وخفى سببها، فينتابنا التعجب فما علينا إلا أن نكسر حاجز علامة التعجب بأن نتدبر بروية ونقرأ التاريخ، لندرك المدرك، وما خُفى من أمر يمكن أن يُستدرك. وعلى الرغم من أننى أرى الأيام تحمل فى طياتها سحبا ملبدة بالغيوم، تحمل بين ركامها ما هو مخفى وما هو منهى، وما هو مقبول وغير مقبول، وأن ما ينقصنا فى كل الأمور هو احتياجنا إلى دالة قياس، دالة قياس لا تقبل الخطأ، ودالة القياس تصل بنا إلى الحقيقة ألا وهى: **{وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}**. (٣٨) – **الأنعام** لنصل إلى حقيقة أى أمر يثير بداخلنا أى دهشة. إن ما قد نراه من غيوم وسحب ملبدة، هى نفسها التى تحمل أمطارا فى نفس الوقت لتحى بلدة ميتا **{لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا}**.الفرقان ٤٩. إن الأمل موجود وسط كل هذه الغيوم ووسط كل هذه الرياح المتراكمة والمشحونة، ورغم ما يبدو فى نظرتنا للأمل على أنه بعيد المنال لصغر حجمه حين ننظر إلى السماء بقياس التناسب النظرى إلا أنه مازال موجودا، ويتوفر من قصد النوايا الحسنة، ورغم ما يمر بنا من أحداث، قد لا نجد له تفسيرا، لأنها تربك النفس، والنفس حين نجد الحل، **{فَأَتْبَعَ سَبَبًا}**. (٨٥ الكهف)، واتباع

الأسباب لن يأتى إلا بسلك الطرق المؤدية لمعرفة الحل، ولن يتأتى إلا بزيادة حجم المعرفية، وكل جوانب السببية لتأتى الإجابة.لقد تعلمت ألا عجب فى الحياة، فكل أمر له حكمة، فهناك حكمة الاقتراب من شيء، وحكمة الابتعاد، ولما كانت الحكمة تتطلب علما كافيا، فلا تؤتى الحكمة لأى شخص، **{يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب}. البقرة ٢٦٩.ولننظر إلى الآية الكريمة {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}. آل عمران ١٤٠** إن الآية تتطلب أن نثبت على عقيدة الإيمان، وإن حدوث التداول ما هو إلا اختراق فى الجانب الإيمانى والعقائدى للبشر، حيث إن خروج الإنسان من جلد إيمانه، يعنى خروجه من الغلاف الذى يحميه و يؤويه، ويصبح الإنسان دون منهج، ويتساوى الجميع فى ذلك، أى إن أى تغير لمن لا يتبع منهجا لهو مخالفة، فأى منهج نحن نتبع حتى لا نصاب بالتعجب؟ أو نصاب بإحدى علامات التعجب وهى كثيرة، إن مخالفة المنهج والخروج عنه يؤدى بنا إلى غيابات الجب فمن يدلى دلوه ليأخذنا إلى جانب الصواب، إن ما يحدث بين الأخوة فى الوطن الواحد، وما يحاك ليس ببعيد عن قصة يوسف ولنا فيها الكثير، ونحن فى حاجة لفهمها جيدا، إن الابتلاء له حكمة، ولن يتوقف نزيف الابتلاء أو التعجب دون أن يكون بيننا الحب الحقيقى و غير المبنى على هوى الدنيا، إنه حب الوطن يا سادة، فبالحب يبن الناس ملكهم، لا يُبْنى مُلْكٌ على حقد وأضغان[٢] ، إن حب الوطن، هو حب جارف لا يمر بشيء إلا إذا اكتسحه، فلنملأ قلوبنا به ولنعلم ان ما يمر به وطننا الحبيب ما هو إلا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين.

٢ - جزء من بيت للشاعر المصرى جمال جمعة (مؤلف الكتاب)